صاحب الغيرة الحقيقية والذي هو شعلة نور بينكم سيمتد ضياؤها في الأقطار وهو حضرة الأب الجليل الخوري بولس الكفوري صاحب المهذب فإنه غمرني بفضله كما أنه أناركم بهديه. وفي الختام أطلب إليكم جميعاً أن تشملوني بغض النظر عن قصوري في هذا الموقف الحرج.

Fatat al-Sharq
Vol. 4, no. 3
(Dec. 1909),
pp. 99-105

رسالة العرب والاتراك

حاشية:

تذكر بعض المصادر من بين مؤلّفات الدكتور شميّل ما تشير إليه بـ «رسالة العرب والأتراك» (١٩١٣). وأغلب الظنّ ان المقصود بذلك هو الكرّاس الذي نشره الدكتور شبلي شميّل باللغة الفرنسيّة ـ وكان من المجيدين فيها ـ وطُبع في مطبعة المقطّم عام ١٩١٣. هذا ما يُستفاد من مقالة **لوسيرف** عن «مساوىء السيطرة التركية ومسؤولية أوروبا»، في عرضه لآراء فيلسوف سوري حول السياسة الدوليّة. ولم نعثر على «رسالة العرب والاتراك» في المنشورات العربيّة التي أمكن الحصول عليها منذ عقود من السنين.

Shumayyel, Shibli:
"American Naturalization and the Rights of Man"

﴿ التجنيس الأميركي ﴾

(وحقوق الانسان)*

«بقلم حضرة العالم العلامة والفيلسوف الاجتماعي الدكتور شبلي شميل»

أسمعتنا أميركا اليوم صوتاً غريباً. لا أريد أن أقول أميركا لئلا أسجل على هذه القارة الكريمة بلاد الحرية ومعرفة حقوق الانسان عاراً يشجبها عليه العقلاء اليوم والعالم أجمع غداً. لأن العالم سائر إلى الأمام في معرفة هذه الحقوق فلا يليق بالبلاد التي كانت معلمة الدنيا بمثالها الحسن وتعاليمها الحرة أن تكون سائرة اليوم في هذه التعاليم إلى الوراء.

بل أقول إن رجلاً أميركياً أسمعنا اليوم صوتاً غريباً. والرجل ليس أميركا كلها كما أن السوري الذي لا يشرف بلاده حيث كان ليس سوريا كلها.

أسمعنا ريتشارد كامبل القائم على رئاسة مجلس التجنيس الأميركي أن السوري لا يحق له اليوم أن يتجنس بالجنسية الأميركية.

ولماذا؟

لأن السوري من الشعوب الاسيوية المحظور عليها ذلك بقانون مسنون.

ولماذا أيضاً؟

لأن الاسيويين شعوب منحطة وغير قابلة الارتقاء في شرع واضع هذا القانون.

وهذا كقول الاسيوي يوم كان في أوج مدنيته وكان أهل أوروبا غارقين في الجهل انه لا يجوز معاملتهم معاملة الأنداد لأنهم برابرة.

ومع ذلك فالاسيوي قد انحط والأوروباوي قد ارتقى.

فإن كان كامبل يتكلم في القرن العشرين كأنه لا يزال عائشاً في القرون التي تقدمته فليس من العدل أن يقال إن أميركا كلها متقهقرة إلى تلك العصور.

القرن العشرون ممتاز على سائر القرون الماضية ليس باكتشافاته العلمية الخطيرة. ليس بمعرفته نواميس الطبيعة ذات المنافع الكبيرة في معايشه قاطبة. ليس باختراعاته التي بلغ بها حد المعجزات فربط بها الأقطار بعضها ببعض وجعل العالم كأنه مدينة واحدة. بل بأمر هو في الخطارة في المقام الأول.

* فتاة الشرق السنة ٤ / ديسمبر ١٩٠٩، ص ٩٩ - ١٠٥

القرن العشرون ممتاز حقيقة بتقرير غاية العلم الكبرى. ويراد بالعلم العلم الصحيح أي العلم الطبيعي. وهذه الغاية هي اعتبار الانسان أخا الانسان في كل المعمورة وإن وطن الانسان الحقيقي العالم أجمع. فلا يوجد شريعة يجوز لها أن تنكر على الانسان هذه الحقوق الطبيعية ويكون القائمون بها من أهل العدالة ولا من أهل الحصافة والرأي.

ـ ولو صحت هذه الشريعة لما قام كامبل وقومه على أطلال سكان أميركا الأصليين وأرونا هذا التمدن الباهر ـ ولا يقوم بها حتى اليوم إلاّ اولئك الذين كانوا في كل أطوار التاريخ ضربة على المجتمع الانساني قاضية على صلاحه وعابثة بسلامة مداركه.

ريتشارد كامبل يريد اليوم أن يرجع بنا القهقرى ويؤيد تلك المبادىء الرثة التي لم يشرع الاجتماع في النهوض إلى شيء من الصلاح إلاّ بعد أن أخذ ينقضها. وهو يطمع مع ذلك أن يذكره التاريخ بخير بل يطمع بأن يحفظ الفخر لأميركا التي كانت السابقة إليه في الأمور الاجتماعية حتى اليوم.

هذا القانون ـ قانون التجنيس الاميركاني ـ سنَّ في عصر ـ وكل شيء نسبي ـ لم تكن مدارك الانسان فيه بالغة الحد الذي وصلت إليه اليوم فلم يشن أميركا في ذلك العهد كما يشينها اليوم.

أنا لا أشك بأن ريتشارد كامبل لم يخدم نفسه من حيث حسن الذكر في مجامع الأمم الراقية بركوبه مثل هذا المركب الخشن. ولكني لا أشك أيضاً بأنه سيخدم قومه والمدنية بتحريكه اليوم هذه المسألة ووضعها على بساط البحث لحمل عقلاء بلاده على النهوض لتحوير هذا القانون الذي هو في نظام أميركا وصمة ان جاز الاغضاء عنها في الماضي فلا يجوز اليوم.

فالمسألة من جهة الحق العام لا يجوز لأي شرع كان فيها أن يتحدى قانون التجنيس الأميركي ولا يكون في نظر الاجتماع جانياً. جانياً على حق ارتقاء الانسان في العمران. جانياً على مدارك الانسان بالاستهزاء بحقوق الانسان. جانياً بتوسيعه الخرق بتفريقه بين الانسان والانسان.

ولنرجع الآن إلى الكلام عن السوري خاصة.

ريتشارد كامبل ينكر على السوري حق التجنيس بالجنسية الأميركية لأنه من نسل اسيوي وهذا النسل محظور عليه هذا الحق بموجب قانون مسنون. لأن الاسيويين

شعب منحط غير قابل الارتقاء والسوري منه فالسوري منحط غير قابل الارتقاء أيضاً.

ولكن آسيا قارة كبيرة جداً وفيها أقوام كثيرون مختلفون في الأشكال والقابليات وهي أقدم من أوروبا وأميركا عمارة ومدنية وأقوامها لعبوا في تاريخ التمدن دوراً عظيماً قبل ان ظهرت شعوب أروبا وقبل أن عرفت أميركا والسوريون منهم أعرقهم في المدنية من يوم أجدادهم الفينيقيين. فهم شعب كان في مقدمة الشعوب في تاريخ الحضارة وأسبقهم إليها. والتاريخ الطبيعي يعلمنا أن ناموس الاتافيسم (الرجوع إلى الأصل) شديد في الاحياء. فالسوري بحكم هذا الناموس إذا وافقته الظروف لا يدع الشعوب الراقية اليوم تفضله بشيء. وريتشارد كامبل إذا تأمل قليلاً عرف أن المدنية التي يصد بها سواه عوضاً عن أن يدعوه ليرفعه إليه إنما بلغها هو وقومه بشريعة وضعها رجل سوري.

ريتشارد كامبل لا أعرف اعتقاده الخصوصي. وإنما أعلم أن قومه يدينون بدين هو دين المسيح السوري مولداً والاسيوي موطناً.

فالسوري الذي قام فيه شارع سطا بشريعته الأدبية والدينية على قسم عظيم من آسيا وافريقيا وعلى كل أوروبا وأميركا حتى رفعه أقوامها إلى مقام الالهة. وبعبارة أخرى السوري الذي اعتبره الله أهلاً لأن ينزل إلى أرضه خصيصاً ويختلط به حتى في لحمه ودمه ويساكنه ويؤاكله ينتهي في عصر كامبل ومن حذا حذوه أن لا يعود أهلاً لأن يتجنس بجنسية خليط من الشعوب مهما صفا أصله لا بد أن يكون فيه من دم السوري الفينيقي قطرات كثيرة ولماذا؟ لأن هذا الخليط ساعدته ظروف المكان والزمان وأحوال كثيرة سياسية واجتماعية فارتقى وذاك الفينيقي أو السوري خانته كل هذه الأحوال فانحط.

ولكن السوري في إمكانه أن يرتقي أيضاً وسرعة نهوضه رغماً عن معاكسة هذه الأحوال له كلما وجد في وسط مناسب دليل له لا عليه وحجة يخجل بها خصومه.

أنا لا أنكر أن بين السوريين النازحين إلى الأقطار كثيرين ممن ذهب الجهل بمحاسنهم ولا يزالون في حالة سيئة في تربيتهم وأخلاقهم. ولكن كثيرين أيضاً ارتقوا جداً لإدخال أقل المحسنات بينهم. بل أن كثيرين منهم بلغوا درجة قصوى من ذلك باروا بها أرقى مساكنيهم حتى في الأقطار الأميركية نفسها.

وقانون التجنيس الأميركي يذكرني اليوم بالعصور التي كانت المدارس تنشأ فيها لأبناء الأعيان ويقصى عنها العامة بحجة أن الأعيان أرقى في المدارك والعامة متوغلة في الجهل.

فما رأيك يا مستر كامبل لو أردنا إعادة العمل بهذا القانون وحصر التعليم. هل يكون ذلك عدلاً؟ بل هل يكون عملاً صائباً؟ ألا تعرف أن ارتقاء المجتمع البشري اليوم ناشىء عن تعميم التعليم البالغ الغاية القصوى في بلادك نفسها.

أوَليس التجنيس كالتعليم، فأنت تبيح تعميم التعليم ولكنك تمنع تعميم التجنيس بحجة أن من الشعوب من هو منحط غير راق نظيرك. أفليس من واجباتك أيها الانسان الراقي أن ترفع هذا المنحط إليك بإدماجه فيك واكسابه من اختبارك وتربيتك وتعليمك ما لا يجعله دونك في المقام بشيء؟ خصوصاً إذا كان تاريخه الماضي يدل دلالة صريحة على حسن استعداده وأنت تعرف اليوم أن الجهل وحقارة النشأة لا تصدان عن تعميم التعليم ولا تمنعان التفوق فيه.

فيا للعجب! وأعجب من ذلك أن مثل هذا الصوت يسمعنا إياه رجل أميركي في القرن العشرين!

أتريد أن تعرف يا مستر كامبل قانون التجنيس الصحيح المعقول العادل إذا كان يجوز أن يكون هناك قانون؟

خذه ـ ولا تأنف ـ من فم رجل سوري اسيوي:

«في التجنيس يجب أن لا تراعى الأجناس والأقوام والبلدان والأوطان بل يجب أن تراعى حالة الأفراد الطالبين التجنس من حيث الصفات الخصوصية التي تؤهلهم لذلك أو لا تؤهلهم كل بمفرده».

وإنه لمعقول أكثر ـ وإن كان غير جائز ـ يا مستر كامبل ـ صد الأقوام من وطن معلوم عن الدخول إلى وطن آخر لا منع إدماج الأقوام بالأقوام المقيمين بينهم. لأنه في الأول قد ينتحل عذر منع المخالطة عملاً بناموس صد الأمراض كما في الطب إذا كان هناك موجب حقيقي. وأما إذا لم يكن هذا المانع وجازت المخالطة فماذا يعود يمنع من التجنس؟

أجَنبي ـ يا مستر كامبل ـ يا حضرة الديمقراطي الأرستقراطي! وأعلم اني لا أدافع هنا طمعاً في تجنس أو هرباً من جنسية فإن مبادئي الاجتماعية ـ وأثمناها لك ـ تجعلني فوق أمثال هذه السخافات فحيثما تطأ رجلاي فهناك وطني. وإنما أقول ذلك انتصاراً لحق الانسان العام في المجتمع البشري.

وإني لأعجب كيف أن الانسان الموجود في مركز يستطيع فيه أن يحسن إلى المجتمع يدع الفرصة تفوته ولا يفعل فيحط من مداركه ليسير بالمجتمع القهقرى.

وكان في مستطاع المستر كامبل وهو في مركزه أن يكون من المحسنين ولكنه لم يفعل فأساء إلى نفسه وإلى المجتمع أيضاً.

بأمثال روزفلت ممزق الشرائع الحائفة والدائس على سخافات الاجتماع يرقى الاجتماع. وبأمثال كامبل المستمسك بهذه السخافات والمؤيدها بلاهوته الاجتماعي ليحملنا على القهقرى يشقى الاجتماع.

المستر روزفلت: «قاتل الوحشين»

كتب سليم سركيس في مجلته (**مجلة سركيس**) تحت عنوان «المستر روزفلت في مصر، ما يلي:

وقد لقيت على أثر هذه الزيارة صديقي الاجتماعي الكبير الدكتور شبلي شميّل فعلمت أن رئيس المدرسة الكلية الأميركية في بيروت سأله تحية للمستر روزفلت فكتب إليه ما نصه:

«أحيي فيك مروّض الوحوش ـ وحوش المال في أميركا ووحوش الحيوان في أفريقيا. وقد لا تكون مصيباً في هذه ولكنك مصيب في تلك. فأهلاً وسهلاً بقاتل الوحشين».

مجلة سركيس، عدد ١٣، السنة ٥، ٢٧ مارس ١٩١٠، ص ٣٨٤